الورقة الثانية

البيئة الحاكمة لتحركات إسرائيل

أ. عبد الحكيم مفيد*

إنَّ التساؤل عن إمكانيَّة اندلاع حرب هو تساؤل فيه كثير من الغرابة، لأنَّ مثل هذا التساؤل يفترض أنَّه لا حرب ناشبة حالياً، فالحروب ما زالت قائمة ولم تتوقف، على الأقل منذ بداية التسعينيات.

فالحرب التي كانت أعلنتها الولايات المتحدة على العراق في عهد جورج بوش الأب، تعدُّ في تقديرنا من أبرز الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة والغرب منذ الهجمة الاستعمارية على المنطقة بعد سايكس بيكو.

وتعود أهمية هذه الحرب من كونها جاءت لتشكيل المنطقة من جديد، ليس على مستوى الأنظمة فحسب، بل الجماهير أيضاً، وقد ترتب عليها احتلال العراق، فلماذا نسأل السؤال التقليدي: هل ستنشب الحرب وهي ما زالت قائمة، وتنتقل من مكان إلى آخر في المنطقة بأشكال مختلفة؟ هذا السؤال مهم للغاية، لأنَّ الإجابة عنه تستدعي أن نعرِّف ما هي الحرب؟ فهل حصار غزة مثلاً، هو حرب قائمة أم حرب متوقَّعَة الحدوث؟

المسألة الأخرى التي تستدعي الإشارة إليها، ترتبط بالإعلام وكيفية تغطيته الأحداث المحيطة بنا، فالحديث عن إمكانيَّة اندلاع حرب مفتَرَضة يرتبط بمجمل التغطية الإعلامية، من حيث أسلوبها وحجمها، وبالرغم من أننا هنا في مجلس علمي أكاديمي، فإننا لن ننكر أننا أيضاً منشغلون في الحرب المفترضة نتيجة «انشغال الإعلام» بها، وهنا تحديداً لا بد من الإشارة إلى أنَّ الانشغال الإعلامي في الحرب هو مسألة دائمة، وبإمكاننا أن نَعدّ كم عدد المرات التي ضربت بها إيران، أو نشبت فيها حرب على الجبهة السورية، وأمور أخرى.

من خلال الكشوفات الصحفية الكبيرة للصحف الأمريكية الكبيرة، يتبين لنا يوماً بعد يوم، كم هي مجندة، بل ومعادية، وأنَّه لا يمكن الوثوق بكلامها وكشوفاتها التي تبين أنها كاذبة، فقد تم توظيف المادة الإعلامية بشكل مقصود من قبل جهات سياسية، ولهذا فإن

* باحث ومحلل سياسي/ فلسطين ١٩٤٨.

الاعتماد على الكلام الوارد في وسائل الإعلام في تقديرنا غير مجدٍ، بعد أن ثبتت عدم صحته في غالبية الأحيان، وبإمكان كل واحد منا أن يبحث عن الحرب التي اشتعلت على الأقل في السنوات العشر الأخيرة في أماكن كثيرة، لكنها لم تشتعل، فيما أبيدت دول وشعوب، وما زلنا نبحث عن الحرب التي ستشتعل.

إنَّ أي تقييم أو استشراف لحرب مستقبلية قد تنشب أو لا تنشب يجب أن يكون أكثر عمقاً وجدية، ويعتمد في التحليل على أبعاد أكثر عمقاً من تلك التي تم اعتمادها حتى الآن، وتحديداً عبر وسائل الإعلام.

وينبغي علينا أن لا نأخذ أي تحليلات، من تلك التي ترد في وسائل الإعلام، على محمل من الجد، ليس فقط لأننا لا نريد، بل لأن الإعلام كان وما زال شريكاً في التضليل، وسيبقى كذلك في المستقبل.

إنَّ أي تقييم لمسألة اندلاع الحرب يجب أن تنطلق من فهم أطراف الحرب المفترضة، وهي: إسرائيل وإيران وحزب الله وحماس وسوريا والولايات المتحدة، أما العالم العربي فهو ليس مؤثراً فاعلاً في الحرب، ففي أحسن الحالات يستطيع أن يلوذ بالصمت على ممارسات عدوانية، أو يسوِّغها سراً، لكنه في حالته الآن لا يملك أي تأثير حقيقي في مسألة نشوب حرب أو عدم نشوبها.

إنَّ أيَّ إجابة بالنيابة عن أطراف أي حرب مفترضة حول رغبتها في نشوب حرب، هي إجابة مرتبطة بما يمكن أن يحققه كل طرف من أهداف ومصالح في هذه الحرب، والحالة التي سيخرج بها منها.

وفي تقديري فإنَّ الأطراف العربية والإسلامية الأربعة ليس لديها نية لخوض حرب، وكل طرف له أسبابه الخاصة به.

حـــزب الله

إنّ حزب الله غير معني بخوض حرب مع إسرائيل، لأنَّه لا يرغب في تكرار سيناريو حرب عام ٢٠٠٦، للأسباب التالية:

- إلى جانب ما حققه من إنجازات على المستوى العربي والإسلامي، إلا أنَّ حزب الله خرج خاسراً على المستوى المحلي، وهو- في تقديرنا- ما دفعه للدخول إلى حكومة الحريري.

- الحزب طرف لا يلعب وحده في هذه الحرب، فقرار دخول حزب الله في أي حرب مرتبط بقوى خارج لبنان هي إيران وسوريا، وان كانت إيران هي القوة الأكثر تأثيراً على حزب الله.

من هذا المنظور يمكن أن نعدَّ حزب الله «أداة إقليمية»، فعلى الرغم من كل ما يتمتع به حزب الله من قدرات إلا أنه لا يمتلك قرار الحرب إطلاقاً، وهو اليوم مكبل أكثر بالحالة المحلية بعد أن دخل الائتلاف الحكومي، كما أن التقارب الذي حصل بين إيران والسعودية يقلل من قدرة حزب الله في التأثير الإقليمي، وخاصة فيما يخص الحرب التي ندرس احتمال نشوبها.

سوريا

أما فيما يتعلَّق بسوريا، فإنَّه بات من الواضح أن سوريا معنية في أحسن الحالات باسترجاع الجولان المحتل عن طريق المفاوضات، أما أن تشن هي الحرب وتعلنها فلا نعتقد أن هذا مما تفكر فيه سوريا، للأسباب التالية:

- لأن الحالة القائمة في المنطقة تخدم أهداف سوريا ومصالحها أكثر من الدخول في حرب، أو حتى تصعيد من النوع المتوسط.
- من جهة أخرى فإن سوريا غير قادرة على خوض حرب ضد إسرائيل، كما لم تقم بأي رد فعل بعد أن قامت إسرائيل بقصف المنشآت النووية السورية، وهي لم تدخل في أي مواجهة مع إسرائيل منذ العام ١٩٧٣، حتى عندما كانت قواتها موجودة في لبنان على مدار أكثر من ٣٠ عاماً.
- الحالة الداخلية السورية لا تسمح لها بذلك، فسوريا تفضل أن تحافظ على الحالة القائمة، وتكتفي بلقب «دولة ممانعة» على الدخول في حرب لا تستطيع حسم نتائجها، ولتصبح «دولة بطولة».
- ارتباط سوريا بإيران والعمق العربي، وإن كانت بقدر أقل من ارتباط حزب الله، فهي بخلاف حزب الله؛ دولة ملتزمة بقرارات واتفاقيات دولية يجعلها تتصرف على نحو مختلف عن إيران، كما أن ارتباطها بالعمق العربي وقبولها للمبادرة العربية من العام ٢٠٠٢ تجعلها أبعد عن التفكير في منطق الحرب، فتسليمها بمعطيات الواقع، استدعاها

إلى فتح حوار مع الغرب والولايات المتحدة الأمريكية، كما أن النظام العالمي يجعلها كدولة أكثر عرضة للابتزاز، وأكثر استعداداً للتعاطي مع الواقع؛ أي قبوله.

- منذ عام ١٩٧٣ لم يحدث أي احتكاك على الجبهة السورية- الإسرائيلية، فحالة اللاحرب واللاسلم ما زالت هي المسيطرة، وهي تخدم السوريين حالياً، وكذلك إسرائيل، فليس هناك ما يبرر الحرب على هذه الجبهة، وليس هناك ما يدفع في اتجاهها على الأقل من الجانب السوري ونؤكد هنا أن الجانب الإسرائيلي غير معني بتاتاً بخرق التوازن على الجبهة السورية، فمن حين لآخر يتحدث السوريون والإسرائيليون عن تسوية سياسة، ثم تفشل المحادثات، وترتفع حالة التوتر، ثم تختفي، وهكذا.

جبهة غـزة

أما جبهة غزة، فهي من أهم الجبهات التي تشغل إسرائيل حالياً، ولا يخفي على أحد الحالة السيئة التي تعيشها غزة في السنوات الأخيرة، وتحديداً منذ الحرب الأخيرة عليها في العام ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩.

في هذه البيئة؛ فإن كل ما يمكن أن تفعله حماس بحسب المعطيات الماثلة على أرض الواقع هو أن تصمد، أما إعلان حرب على إسرائيل، كما قد يسميها البعض، فإنَّ التسمية لا تجوز من أساسها، فحماس لا يمكنها ذلك؛ إذ إنها لا تملك أي مقوم من تلك التي تكون بيد من يبادر لإعلان الحرب، ولا تستطيع التحكم بأي من شروط هذه الحرب، لا الجغرافيا ولا السلاح ولا مقومات الصمود الأخرى، فضلاً عن أنها ما زالت محاصرة.

وعليه؛ فإن أفضل وضع يمكن أن تتبنّاه حماس وحكومتها هو المحافظة على الجبهة الداخلية من الانهيار بالحد الأدنى من الشروط، مع حلمها الدائم بفكّ الحصار، فالحرب ليست في حساباتها، غير أنه يمكن أن تُفرض عليها فقط.

الجبهة العربية الإسلامية الرابعة (إيران)

هي بلا شك اللغز المحير في المعادلة، ففي العادة عندما يتم الحديث عن حرب مفترضة قد تنشب فإن إيران- وبحسب كل التحليلات والمقومات- هي لاعب مركزي فيها، بل هي اللاعب المركزي على الأقل كما تبدو حالة التوتر الأخيرة بين إيران والغرب، وسأسمح لنفسي هنا أن أثير عدداً من التساؤلات حول إيران؛ وهي أسئلة لم تتم الإجابة عنها حتى

الآن، وهي أسئلة مهمة لفهم مكانة إيران ودورها الإقليمي، وأكثرها إثارة هو: هل تشكل إيران تهديداً استراتيجياً على المصالح الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة؟ علماً بأن هذا السؤال في نظر البعض محسوم سلفاً، وأنَّه لا حاجة لطرحه، فإجابته بالنفي معروفة.

ستبادر إيران بالحرب في حالة كانت هذه الحرب مع إحدى جاراتها فقط، أو إذا كانت الحالة الداخلية في إيران خطيرة إلى الحد الذي تهدد به هيمنة السلطة الحاكمة.

إيران جزء من حرب في دولتين- بشكل مباشر أو غير مباشر- هما العراق وأفغانستان، ويتفاوت التدخل أو الموقف الإيراني في الحالتين، سواء من خلال التسهيل في احتلال واحدة (أفغانستان) كما كان الرئيس الإيراني السابق محمد خاتمي قد قال: «لولا إيران لما احتلت أمريكا أفغانستان»، ولا يخفى على أحد ما قامت وما زالت تقوم به إيران في العراق، ولكن بالرغم من ذلك فإني أعتقد بأن احتمال أن تبادر إيران إلى حرب ضد إسرائيل يؤول إلى الصفر، مع التأكيد أن العكس غير صحيح، وهذا ما سنأتي عليه لاحقاً.

فليس من مصلحة إيران في وضعها الحالي أن تخوض أي حرب، من أي نوع، لأنها تحتاج إلى «حماية دولية» أو على الأقل تعاطف دولي، في قضية النووي، فأن تبادر إلى شنِّ حرب فهذا يعني انتحارها، ويعني لغيرها التأكيد على عدوانية إيران، والخوف منها، وهو ما يسوِّغ بعد ذلك اتخاذ موقف اتجاهها يكون أكثر حزماً.

إيران غير معنية بشن حرب ما دامت الحالة العراقية والأفغانية تخدم بشكل واضح هيمنتها ومشروعها، وتحولها إلى قوة إقليمية فاعلة، فالحالة السياسة في الشرق الأوسط كما هي الآن تخدم إيران أكثر مما تخدم غيرها، فلماذا ستشن حرباً استباقية قد تخسر فيها الكثير؟

العاملان الأكثر تأثيراً في احتمال نشوب حرب في المنطقة، هما سياسات إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية، فالمبادرة بالحرب بيدهما.

وسأناقش ما إذا كانت إسرائيل والولايات المتحدة معنيتين بشن حرب، أو المبادرة لها، هناك- مؤخراً- من يراهن على وجود خلافات في الخطاب والمواقف بين الإدارة الأمريكية والحكومة الإسرائيلية الحالية بقيادة بنيامين نتنياهو، ونحن نؤكد هنا أنه بالرغم من الخلافات التي قد تبدو من صيغة الخطاب، فإن العلاقة الأمريكية- الإسرائيلية ما زالت قوية ومتينة إلى الحد الذي لا يقف بها ضد مصالح الطرف الآخر.

فلا يتوقع أن يكون هناك أي انسجام تام بين أي حليفين، فخارج منطقة تقاطع المصالح المشتركة قد يكون هناك ما هو مختلف عليه، ويمكن أن يكون مادة خلافية بين حليفين يمتازان بعلاقات متينة للغاية مثل تلك السائدة بين الولايات المتحدة وإسرائيل.

وفي هذا السياق فإن هناك أهدافاً مشتركة للطرفين: الإسرائيلي والأمريكي، فكلاهما متفق على ضرورة تحقيقها، خدمة لمصالحهم، ويكمن **الأول** في إنهاء حالة المقاومة لنفوذهما في المنطقة، وهو ما يفسر الحرب على لبنان عام ٢٠٠٦ والحرب على غزة عام ٢٠٠٨-٢٠٠٩.

أما **الهدف الثاني**، فيتمثل في إبقاء إسرائيل القوة الأولى في المنطقة والأكثر تأثيراً على الحرب وعلى «السلام»، وهو ما يستدعي ضرب أي حال من شأنها أن تشكل خطراً على الهيمنة الإسرائيلية، وهو ما يفسر الحرب على العراق في وقت سابق، والتهديد بضرب إيران في وقت لاحق؛ التهديد الذي ما يزال قائماً إلى الآن.

وبهذا تمكن السيطرة على مقدرات المنطقة وتحديداً النفط في العالم العربي، وهو هدف أمريكي- إسرائيلي- غربي مشترك، ولا يخفى على كثيرين ما قامت به إسرائيل مؤخراً من نشاطات سرية داخل العراق، استهدفت العلماء والقيادة العراقية والشعب العراقي، من أجل مساعدة الأمريكيين في فرض مشروعهم على العراقيين.

ولتحقيق الهدفين المذكورين أيضاً، فإن تقسيم العالم العربي إلى دويلات وطوائف جزء من مشروع إسرائيلي قديم، انضمت إليه الولايات المتحدة لاحقاً، وكانت إسرائيل قد بدأته لدى أكراد العراق، ثم امتد إلى مسيحيي لبنان، وبعدها بإقامة «دولة جنوب لبنان»، وهناك امتدادات لهذا المشروع في السودان ومصر والعراق.

ولتحقيق الهدفين المذكورين، فإن المشروع الإسرائيلي- الأمريكي يسعى إلى منع قيام أي قوة إقليمية عربية أو إسلامية من شأنها أن تهدد هيمنة المشروع الغربي في المنطقة، ويمكن أن نعدَّ ما يحدث في أفغانستان والعراق جزءاً من هذه السياسة.

ويمكن الإشارة إلى مصالح أخرى مشتركة بين الطرفين أقل أهمية أو أقل حجماً، لكن هذه المصالح المشتركة لا تمنع وجود خلافات، بعضها- في رأينا- جدي للغاية بين الطرفين، مثل الموقف من إيران مثلاً.

الولايات المتحدة الأمريكية الآن غير معنية بأي حرب جديدة، وهي غير معنية بضرب إيران، فالتورط الأمريكي في المنطقة، وتحديداً في العراق وأفغانستان يجعل الولايات المتحدة أقل رغبة في شن أي حرب جديدة، ضد إيران وضد غيرها.

والمأزق الأمريكي والغربي لقوات الناتو يبدو أكثر بروزاً وظهوراً اليوم مما كان عليه في السابق، وهو عامل حاسم في احتمالات اندلاع حرب أخرى غير تلك المندلعة الآن.

فالحرب الثالثة التي ينتظرها كثيرون ترتبط إمكانية اندلاعها أساساً بإسرائيل، كما أعتقد، وليس بالولايات المتحدة الأمريكية.

وإذا ما نشبت حرب فإن هناك أربع قوى مرشحه لأن تكون جزءً منها ضد إسرائيل (إيران وحماس وحزب الله وسوريا)، وإنَّ آخر ما تفكِّر فيه الولايات المتحدة الآن هو الدخول في حرب إضافية مع كل هذه الجهات، قد تزيد من تورطها، وتهدد هيمنتها كقوة عظمى بعد أن لم تعد القوى العظمى المسيطرة.

وليس لأن الولايات المتحدة غير قادرة على شن حرب على إيران فإنها لن تبادر إلى هكذا حرب، بل لأن العلاقات الأمريكية- الإيرانية، وتقاطع المصالح بينهما يمنع مثل هذا الصدام، كما أن المصالح الغربية في النفط الإيراني يجعل من إمكانية توجيه ضربة لها ضئيلاً للغاية في تقديرنا.

وبالرغم مما يُثار عن رغبة إسرائيل في شن حرب على إيران، فإني أُرجح أن إسرائيل بإمكانها أن تحقق الكثير من أهدافها من دون حرب، طالما كان بالإمكان أن ينوب عنها من يحقق لها أهدافها، مثل أمريكا، والحالة القائمة، والأنظمة العربية، والغرب عامة.

وعليه؛ فليس لأمريكا أي نية بالمبادرة لأي حرب، مع تأكيد أنَّ إيران ليست صديقة أمريكا وليست حليفتها، لكن مصالح مشتركة بين الطرفين تقلل من احتمالات توجيه ضربة أمريكية لإيران.

للإجابة عن هذا التساؤل، يمكننا دراسة مصلحة إسرائيل في شن حرب على إحدى هذه الجبهات: إيران، أو غزة، أو حزب الله، أو سوريا.

لقراءة احتمال قيام إسرائيل بشن حرب، يمكن أن نسرد بعض أهدافها المتوقعة من شنِّ حرب، وهي:

١. الوصول إلى الحل الدائم مع الفلسطينيين بحسب رؤيتها هي.
٢. إعادة هيبتها إثر حربي لبنان وغزة.
٣. تدمير القوة النووية الإيرانية.
٤. مواجهة أزمات داخلية إسرائيلية بصرفها نحو حرب خارجية.

إنَّ إسرائيل واعية للدور الذي تلعبه سوريا، فعلى الرغم من كل ما يقال بشأن سوريا وتقديمها المساعدات لحزب الله، أو مرور الإمدادات إليه من أراضيها، فإن سوريا تنكر ذلك، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الحالة السياسية في سوريا لا تشكِّل أي خطر على إسرائيل، كما أن حالة اللاسلم واللاحرب السائدة منذ حرب رمضان عام ١٩٧٣ تجعل إسرائيل مطمئنة من جهة سوريا.

ومن تجربة الإسرائيليين، فلقد حدث أن كانت القوات السورية في لبنان وجهاً لوجه مع الجيش الإسرائيلي، لكن هذا لم يدفع السوريين إلى الصدام، كما أن الحدود مع سوريا لم تشهد أي مواجهات، ناهيك عن الموقف السوري الرسمي من المبادرة العربية منذ العام ٢٠٠٢، والذي التزمت به سوريا مع العرب بالمفاوضات بوصفها الخيار الأفضل.

لقد شهدت الجبهة السورية مؤخراً أكثر من حالة توتر، لكن العودة إلى الحالة السائدة بين الطرفين في السنوات العشر الأخيرة تشير إلى أن حالة التوتر ليست جديدة، كما أن الحديث عن مفاوضات ورسائل بين الطرفين تشير إلى أن الحرب ليست ممكنة الحدوث، لا من الجانب السوري ولا من الجانب الإسرائيلي.

فليست هناك أي مصلحة إسرائيلية في شن حرب على سوريا، في الوضع السائد الآن، وأي حرب شاملة تشنها إسرائيل، ستكون ضد مصالحها أولاً.

أما احتمالية حرب إسرائيلية قد تُشنُّ على حزب الله، فإن المسألة كما أتوقع ليست واردة حالياً، لأن حالة الهدوء السائدة اليوم تخدم إسرائيل، وبالذات بعد دخول حزب الله الحكومة اللبنانية، الأمر الذي سيصعِّب على إسرائيل شنَّ مثل هذه الحرب، كما أن التقارب الإيراني- السعودي الذي كان السبب وراء دخول حزب الله إلى الحكومة اللبنانية يجعل من إمكانية شن إسرائيل حرباً أقل احتمالاً.

أما شن حرب إسرائيلية جديدة على غزة، فأؤكد ابتداء أن الملف الأهم للإسرائيليين هو الملف الفلسطيني، كل الملفات الأخرى قد تكون مهمة، لكن الملف الفلسطيني هو الأهم لإسرائيل، فعليه يترتب الحل الدائم الذي تريد إسرائيل الوصول إليه وفق رؤيتها لاتفاقية إعلان المبادئ في أوسلو.

وهنا لا بد من ضرورة فهم الرؤية الإسرائيلية للحل الدائم، فبخلاف ما تم الحديث عنه منذ اتفاقية أوسلو في العام ١٩٩٣ حتى اليوم حول إقامة الدولة الفلسطينية، وعودة اللاجئين، وتقسيم القدس، وتفكيك المستوطنات، فإن رؤية إسرائيل للحل مغايرة تماماً.

فهناك ثوابت لم تَحِدْ عنها إسرائيل، وأعتقد أنها لن تحيد عنها: لا كيان آخر بين البحر والنهر غير إسرائيل، **فهذا ثابت** من ثوابت إسرائيل، وهو ما يتناقض مع ترويج حل «دولتان لشعبين»، على الرغم من التصريحات الصادرة من أكثر من مسؤول إسرائيلي، كان آخرهم رئيس الحكومة الإسرائيلي الحالي بنيامين نتنياهو في خطاب بار أيلان المشهور.

فإسرائيل لن تسمح بقيام أي كيان فلسطيني مستقل من أي نوع بين البحر والنهر، والمفاوضات بالنسبة إليها هي مسألة لكسب الوقت، لعل الزمن يفعل ما لم تفعله الحروب.

و**الثابت الثاني** هو: لا حق عودة للاجئين الفلسطينيين، فحق العودة للفلسطينيين ترى فيه إسرائيل كارثة، وهو يتناقض مبدئياً وجوهرياً مع المشروع الصهيوني.

و**الثابت الثالث** هو أن القدس من وجهة النظر الإسرائيلية هي عاصمة إسرائيل الموحدة إلى الأبد، فلا يمكن لإسرائيل أن تقبل بتقسيمها.

و**الثابت الرابع** هو أن المشروع الاستيطاني الصهيوني في الضفة الغربية هو مشروع غير مرشح للتفكيك، وفي أحسن الحالات قد يتم تفكيك بعض المستوطنات الهامشية في العمق الفلسطيني، أما الكتل الاستيطانية الثلاث في منطقة القدس، وبيت لحم، ووسط الضفة الغربية، فقد أصبحت واقعاً لا يمكن تجاوزه، وليس في الحسبان أن يتم التفاوض عليها.

هذه الثوابت هي ثوابت الإجماع الإسرائيلي، وإذا كان هناك خلاف بين اطراف هذا الإجماع فيكمن فقط في لهجة الخطاب.

فإذا كان الملف الفلسطيني هو الأهم للإسرائيليين، فإن الجبهة المرشحة لضربة عسكرية من وجهة نظرنا هي غزة، على الرغم من أن غزة في واقعها الحالي لا تشكل خطراً وجودياً

أو عسكرياً على إسرائيل، وهي في تقديرنا أقل أهمية استراتيجية لإسرائيل من الضفة الغربية، وعليه فهي غير مرشحه للاحتلال من جديد كما يرى البعض.

ولكن حالة غزة حالة معقدة للغاية، فمن جهة لا يمكن الوصول إلى حسم عسكري هناك، ومن جهة أخرى لا يمكن إبقاء الحالة على ما هي عليه، كل ما تم المراهنة عليه في غزة فشل فشلاً ذريعاً: لقاء حماس، والحصار، والحرب.

وتختار إسرائيل حالياً الحصار والضربات النوعية، والتوغل في قطاع غزة، ويستبعد أن تشن حملة عسكرية شاملة من النوع الذي كان في العام ٢٠٠٩، لأسباب داخلية وعملية كذلك، وبالذات بعد تقرير غولدستون.

وأخيراً فإن أكثر لغز محير يتعلق بإمكانية نشوب حرب قادمة، هو إيران، ومن وجهة نظري فلن تبادر إسرائيل إلى توجيه أي ضربة عسكرية لإيران، على الرغم من كل ما تقوله إسرائيل من جانبها في هذا الشأن، أو ما يرد من بعض الجهات.

فليس من مصلحة إسرائيل حالياً، ولا من مصلحة الولايات المتحدة أن يتم توجيه ضربة من أي نوع لإيران.

وتوجيه أي ضربة لإيران يرتبط أكثر بالإرادة الأمريكية، وعلى الرغم من قوة تأثير إسرائيل في القرار الأمريكي، إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية حالياً لا تفضل توجيه ضربة لإيران، وتوجيهها من قبل إسرائيل دون العودة للولايات المتحدة قد يخلق الكثير من الخلاف بينهما.

والمسألة الأخرى التي يجب الانتباه إليها ترتبط بالعلاقة الإيرانية- الأمريكية، التي نعتقد أنها علاقة ليست صدامية إذا تجاوزنا التصريحات الإعلامية الملتهبة منذ سنوات طويلة.

فهناك مصالح مشتركة بين الطرفين الآن في المنطقة، وتحديداً في منطقة الخليج، والمصلحة المشتركة الأهم بين الطرفين من وجهة نظري هي ضرورة عدم قيام أي قوة سنّية في المنطقة من شأنها أن تهدد مصالح كل طرف وهيمنته.

إن التعاون الأمريكي- الإيراني في العراق ومن قبله في أفغانستان يؤكد هذا التوجه، وإذا كان البعض لا يعيرهذه المسألة انتباهاً كثيراً، أو يراها مجرد لقاء مصالح بين طرفين، إلا أنها في الحقيقة تشكل عاملاً مهماً في تقييم إمكانية نشوب حرب.

والمسألة المهمة هنا ليست التصريحات الإعلامية، وليست النوايا الأمريكية، بل ما هو قائم على أرض الواقع، فليست هناك أي مواجهة أمريكية- إيرانية، بل هناك تعاون.

وهذه العلاقة- من جهة أخرى- تخيف إسرائيل في إمكانية أن تخسر الأخيرة تحالفها الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الأمريكية لصالح إيران، وهذه مسألة أتوقع أنها واردة في الحسابات الأمريكية على المدى البعيد، حينها قد تصبح إسرائيل عالة على الولايات المتحدة مستقبلاً، وإن كان مثل هذا التوقع يبدو ضعيفاً جداً حالياً.

من المهم أن نؤكد هنا أن مكانة إسرائيل مؤخراً قد ازدادت أهمية بسبب تورط الولايات المتحدة في العراق وفي أفغانستان، لكن أيضاً ارتفعت مكانة إيران لدى الولايات المتحدة، فكون إيران دولة نووية يخلق مشكلة لإسرائيل، ليس فقط في ما تشكله من خطر على قوتها وهيمنتها، بل أيضاً في تحوُّل إيران أكثر فأكثر نحو أمريكا، مما يجعل إسرائيل أقل أهمية نسبياً.

أقدر أنه لا حرب في الأفق على أي من الجبهات الأربع، على الرغم من كل ما يقال عن إمكانية اندلاعها.

فاندلاع حرب إقليمية (وليس حملة عسكرية كما كان في لبنان وغزة) هي مسألة خطيرة، تؤثر في كثير من المؤثِّرين الإقليميين والدوليين، مما يجعل إمكانية اندلاعها ضئيلة.

وليست إسرائيل هي المقرر الوحيد في شن حرب على إيران، فهذه قضية تتداخل فيها قوى عالمية ومصالح إقليمية تصعِّب على إسرائيل شنَّها.

ولكن، هل نفاجأ جميعاً باندلاع حرب في منطقتنا دون أي ظروف ومعطيات كافية؟ إنه احتمال وارد، فهذه المنطقة تلوح فيها نُذُرُ الحرب دائماً في الأفق.